جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 44 / حزيران 2025

التأويل الخاطئ للنصوص القرآنية ودوره في تغذية الإرهاب: دراسة تحليلية

Misinterpretation of Quranic Texts and Its Role in Fueling Terrorism: An Analytical Study

م.د مصطفى حسين عبد الرسول
Asst. Dr. Mustafa Hussein Abdul-Rasoul

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية
University Of Karbala / College of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية:التأويل الخاطئ، النصوص القرآنية، الإرهاب، الفكر المتطرف، الجهاد، الخطاب الديني، التفسير العلمي، التلاعب بالسياق، التعايش السلمي.

Keywords: Misinterpretation, Quranic texts, terrorism, extremist thought, jihad, religious discourse, scientific exegesis, contextual distortion, peaceful coexistence

الملخص:

تناقش هذه الدراسة ظاهرة التأويل الخاطئ للنصوص القرآنية بوصفها أحد العوامل التي تُستعمل في تبرير العنف والإرهاب.

تستعرض الدراسة العوامل التي تؤدي إلى انحراف الفهم الديني، مثل الجهل بالعلوم الشرعية، والتأثر بالإيديولوجيات المتطرفة، والتلاعب بالسياقات التاريخية واللغوية للنصوص.

كما تسلط الضوء على الأساليب التي تلجأ إليها الجماعات الإرهابية لاستغلال النصوص الدينية لخدمة أهدافها الأيديولوجية والسياسية.

تعتمد الدراسة منهجية تحليلية تستند إلى استقراء النصوص القرآنية ومقارنتها بالتفاسير العلمية المعتبرة، إضافةً إلى دراسة حالات عملية لجماعات استعملت الخطاب الديني لتبرير العنف.

وتخلص إلى أن مواجهة التأويل الخاطئ تتطلب العودة إلى الأسس العلمية للتفسير وتعزيز الوعي الديني المعتدل وتفكيك الأيديولوجيات المتطرفة بهدف تحصين الأفراد والمجتمعات من الفكر الإرهابي وتعزيز ثقافة التعايش السلمي.

Abstract:

This study examines the phenomenon of misinterpretation of Quranic texts as a key factor in justifying violence and terrorism. It explores the factors contributing to the distortion of religious understanding, such as ignorance of Islamic jurisprudence, influence of extremist ideologies, and manipulation of historical and linguistic contexts of the texts. The study also highlights the methods used by terrorist groups to exploit religious texts in pursuit of their ideological and political objectives. Employing an analytical methodology, the study relies on examining Quranic texts and comparing them with recognized scholarly interpretations, in addition to analyzing real-world cases of groups that have utilized religious discourse to justify violence. The study concludes that addressing misinterpretation requires a return to the scientific principles of Quranic exegesis, promoting moderate religious awareness, and dismantling extremist ideologies to safeguard individuals and societies from terrorist ideologies and foster a culture of peaceful coexistence.

المقدمة.

تعدّ النصوص الدينية ومنها القرآن الكريم، مصدراً أساسياً للهداية والتشريع في المجتمعات الإسلامية إلا أنّ تأويلها يختلف تبعًا للسياقات الثقافية والاجتماعية والسياسية.

في العقود الأخيرة برزت ظاهرة التأويل الخاطئ للنصوص القرآنية كأداة خطيرة استُخدمت في تبرير العنف والتطرف الديني، حيث لجأت بعض الجماعات الإرهابية إلى تأويلات منحرفة للنصوص بهدف شرعنة ممارساتها العنيفة.

تسعى هذه الدراسة إلى تحليل التأويلات الخاطئة للنصوص القرآنية وتحديد العوامل التي تسهم في انحراف

الفهم الديني، مثل الجهل بالعلوم الشرعية، والتأثر بالإيديولوجيات المتطرفة، والتلاعب بالسياق التاريخي واللغوي للنصوص.

كما تناقش الدراسة الأثر العميق لهذه التأويلات في تغذية الفكر الإرهابي عبر خلق بيئة تبريرية للعنف وتحفيز الأفراد على الانخراط في أعمال إرهابية تحت غطاء ديني.

تعتمد الدراسة منهجية تحليلية قائمة على استقراء النصوص القرآنية ومقارنتها بتفسيرات العلماء المعتبرين، مع دراسة حالات واقعية لجماعات وظفت النصوص الدينية في خطابها المتطرف.

تهدف الدراسة إلى تقديم رؤية نقدية حول خطورة التأويل الخاطئ وإبراز أهمية الفهم الصحيح للنصوص وفق المناهج العلمية الرصينة بغية تفكيك الخطاب المتطرف والمساهمة في بناء وعي ديني مستنير.

ومن هنا تتحدد إشكالية البحث في السؤال التالي: كيف يساهم التأويل الخاطئ للنصوص القرآنية في تغذية الفكر الإرهابي، وما هي السبل الكفيلة بمواجهته من منظور علمي وشرعي؟

اولا: أهمية الموضوع:

يعد التأويل الخاطئ للنصوص القرآنية أحد العوامل الرئيسة التي يساء استعمالها من قبل الجماعات المتطرفة لتبرير أعمال العنف والإرهاب.

هذه الظاهرة لا تقتصر فقط على التفسير السطحي للنصوص، بل تتعلق بكيفية استغلال النصوص الدينية لخدمة أهداف سياسية أو أيديولوجية ضيقة.

ويتناول هذا البحث العلاقة بين التأويل الخاطئ للنصوص القرآنية ودور ذلك في تغذية العنف والإرهاب، ويهدف إلى تحليل الأساليب التي تُستعمل لتفسير النصوص الدينية بشكل مغلوط.

ثانيا: هدف البحث:

دراسة كيفية استغلال التأويلات الخاطئة للنصوص القرآنية لتبرير العنف والإرهاب وتقييم تأثير هذه التأويلات على العقول الشبابية وأثرها على التوجهات السياسية والجهادية فضلا عن تقديم حلول علمية لمعالجة هذا الخطأ التأويلي.

ثالثا: مشكلة البحث

أ. كيف يمكن أن يؤدي التأويل الخاطئ للنصوص القرآنية إلى تحفيز العنف والإرهاب؟

ب. ما هو الدور الذي يلعبه استغلال النصوص القرآنية في التبرير للأفعال المتطرفة؟

ت. ما هي الآليات التي يمكن استعمالها لضمان التفسير الصحيح للنصوص الدينية؟

رابعا: فرضيات البحث

أ. التأويل الخاطئ للنصوص القرآنية يلعب دورا رئيسا في تبرير الإرهاب من خلال تفسير غير دقيق للنصوص.

ب. الإرهابيون يستغلون بعض المفاهيم مثل الجهاد والقتال في سبيل الله لتبرير أفعالهم عبر تفسيرات مغلوطة.

ت. تصحيح التأويلات الخاطئة للنصوص القرآنية يتطلب العودة إلى الأسس العلمية والتفسيرية التي تميز بين السياق التاريخي للنصوص وتطبيقاتها المعاصرة.

خامسا: أدوات البحث

أ. **المصادر القرآنية** :دراسة الآيات التي يتم تأويلها بشكل خاطئ وتوضيح معانيها من خلال التفسير التقليدي والعلمي.

ب. **المراجع العلمية** :تحليل الكتب والمقالات التي تناولت التأويلات الخاطئة للنصوص القرآنية ودورها في التغذية الفكرية للإرهاب.

وفي الختام يشكل التأويل الخاطئ للنصوص القرآنية أحد العوامل الرئيسة التي تغذي الفكر الإرهابي، حيث يؤدي إلى تحريف معاني الآيات لخدمة أجندات متطرفة تتعارض مع القيم الحقيقية للإسلام التي تقوم على السلام والتسامح والعدالة.

ومن خلال الدراسة يتضح أن التصدي لهذه الظاهرة يستلزم مقاربة متعددة الأبعاد، تشمل تعزيز الوعي الديني القائم على التفسير العلمي الرصين، ودعم الخطاب المعتدل، وتفكيك الأسس الفكرية التي يستند إليها التطرف.

كما نحتاج إلى تطوير استراتيجيات فعالة لمواجهة الاستغلال الأيديولوجي للنصوص بما يسهم في تحصين الأفراد والمجتمعات من خطر الفكر المتطرف وتعزيز ثقافة التعايش السلمي في المجتمعات الإسلامية والعالمية.

سادسا: منهجية البحث.

اتبع الباحث المنهج التحليلي في البحث من خلال ايراد الادلة والعمل على تحليلها وفقا للسياق العلمي المنهجي.

المبحث الأول: التأويل الخاطئ للنصوص القرآنية.

المطلب الأول: مفهوم التأويل في الفكر الإسلامي.

أ. التأويل لغة: قال ابن فارس: "التأويل من الأول، وهو الرجوع إلى الأصل"[1].

وورد في لسان العرب: "أوّل الشيء تأويلًا: رجع به إلى الغاية المقصودة منه"[2].

ب. التأويل اصطلاحا: بيان ما هو المراد الحقيقي من النص وليس مجرد المجاز أو الاستعارة[3]، كما عدّ العلامة الطباطبائي أن التأويل: "هو الحقيقة الواقعية التي يستند إليها المعنى الظاهري للقرآن"[4].

والبعض يذهب إلى أن التأويل في الفكر الإسلامي يشير إلى تفسير النصوص بطريقة تتجاوز المعنى الظاهر أو المباشر لتصل إلى معانٍ أعمق أو خفية تتناسب مع السياق أو الظروف التي قد لم تكن ظاهرة في البداية.

يرتبط التأويل ارتباطا وثيقا بفهم النصوص الدينية في إطار تطورات الزمن ويعد بمثابة محاولة لفهم المراد الحقيقي من النصوص بعد النظر في معانيها الظاهرة والباطنة.

والتأويل يرتبط بالآيات المتشابهة، حيث يُعتقد أن المعنى الكامل لتلك الآيات لا يمكن استيعابه إلا من خلال التأويل الذي يمكن أن يكون مفتوحا لتعدد التفاسير بناءً على سياق النص وتطوراته.

كما ورد في الشيخ المفيد في أوائل المقالات أن التأويل هو فهم المعنى الباطني للنصوص والذي لا يكون ظاهراً إلا من خلال اجتهاد دقيق وعميق للوصول إلى المعنى المقصود عند الله[5].

2. التفسير والتأويل والفرق بينهما.

التفسير في الفكر الإسلامي: هو شرح المعنى الظاهر للنصوص الدينية، سواء كانت قرآنية أو حديثية.

والتفسير يعتمد بشكل أساس على إظهار المعنى الواضح للنص وفقا لسياقه المباشر واستعمال اللغة في تلك الفترة الزمنية.

فعلماء التفسير يعتمدون على اللغة العربية والسياق التاريخي لفهم النصوص، وقد أشار الشيخ الطوسي في التبيان إلى أن التفسير يعتمد على الفهم الظاهر للنصوص وما يعكسه السياق اللغوي والزمني للنص[6].

بينما التأويل يذهب إلى ما هو أبعد من المعنى الظاهر، فهو يحاول استخراج المعاني الخفية أو المحتملة التي تتجاوز المعنى الحرفي للنص.

يركز التأويل على استكشاف العواقب أو التأثيرات المستقبلية للنصوص وعلى تطبيقاتها في السياقات المعاصرة وهذا يتطلب فهما أعمق وربما فنيا للنصوص بما يشمل البُعد الروحي أو المعنوي.

ويلاحظ الشيخ البحراني في البرهان أن التأويل يعتمد على استخراج المعنى الباطني للنصوص والذي قد يكون مختلفا عن المعنى الظاهر في العديد من الحالات[7].

3. التأويل والتفسير في المدرسة الإمامية

في المدرسة الإمامية يتم التأكيد على ضرورة الفهم الصحيح للنصوص بناءً على أسس لغوية وقواعد علمية دقيقة، وذلك لضمان أن أي تفسير أو تأويل لا يتعارض مع الأسس الشرعية.

وهذا يشمل تفسير الآيات المحكمات بشكل مباشر بينما تُعامل الآيات المتشابهات بالتأويل، حيث يُفتح المجال لاستخراج معانٍ إضافية تكون محتملة وفقا للسياق.

وفي هذا السياق يشير الشيخ الطوسي في التبيان إلى أن الفرق بين التفسير والتأويل يكمن في أن التفسير يكون محددا بالنصوص المحكمات بينما التأويل يأخذ في الاعتبار النصوص التي تحتمل أكثر من معنى، ويعتمد على اجتهادات الفقهاء بما يتماشى مع الواقع المعاصر[8].

4. مثال عن الفرق بين التفسير والتأويل.

في تفسير قوله تعالى:" وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ"[9].

يتناول التفسير المعنى الظاهر للآية الذي يفرض القتال ضد المعتدين على المسلمين في وقت الحروب ويشمل معركة مع الأعداء وفقا للسياق التاريخي.

أما تأويلا فيمكن أن يتجاوز المعنى الظاهر ليذهب إلى استنباطات أخرى عن القتال المشروع في سبيل الله في سياقات مختلفة مثل الدفاع عن حقوق الإنسان أو محاربة الظلم في العصور الحديثة، كما أشار الشيخ المفيد في أوائل المقالات إلى أن التأويل يمكن أن يكون ذا أبعاد دينية وروحية أبعد من المعنى الظاهر ويخضع للسياق الذي يعيش فيه المسلمون[10].

لذلك ففي المدرسة الإمامية يُفصل بين التفسير والتأويل في أن التفسير موجه للنصوص الواضحة والمحكمات، بينما التأويل فيكون للنصوص المتشابهة التي تحتمل معانٍ متعددة، فالتأويل يتطلب اجتهادا كبيرا

وقدرة على فهم النصوص في سياقات معاصرة.

المطلب الثاني: نماذج من أضرب التأويل الخاطئ.

تأويل النصوص القرآنية بصورة متطرفة قد تم من قبل بعض المصادر التي تحاول أن تروج لخطاب ديني أو فكري يبرر العنف أو التفرقة.

هذه التأويلات غالبا ما تكون بعيدة عن السياق التاريخي والشرعي للنصوص، وغالبا ما تكون جزءا من أيديولوجيات متشددة أو متطرفة.

فيما يأتي بعض المصادر التي أسهمت في تفسير النصوص القرآنية بصورة متطرفة:

1. تفسير ابن تيمية (661 هـ – 728 هـ)

ابن تيمية هو أحد العلماء الأكثر تأثيرا في الفكر السلفي، وقد كانت بعض تفسيراته تُستخدم لتبرير العنف ضد المخالفين.

من أبرز آرائه المثيرة للجدل كانت فكرة التكفير لجميع المسلمين الذين لا يتبعون الفهم السلفي، وهو ما جعل بعض المجموعات الجهادية تستفيد من تفسيراته لتبرير العنف ضد المرتدين أو المشركين.

مثال عن التفسير المتطرف: تفسيره لآية "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ"[11]، حيث استعملها لتبرير القتال ضد المخالفين والتكفير بهم بشكل موسع[12].

2. تفسير سيد قطب (1906 – 1966).

سيد قطب يعد من أبرز المفكرين الذين ارتبطت أفكارهم بالحركات الجهادية والتكفيرية.

في تفسيره الشهير في ظلال القرآن استعمل بعض الآيات لتبرير القتال ضد الأنظمة الحاكمة التي لا تحكم بما أنزل الله، وعدها طاغوتا وجزءا من الجاهلية المعاصرة.

مثال عن التفسير المتطرف: تفسيره للآية "فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ضَرْبَ السَّيْفِ"[13]، حيث استغلها لدعوة الشباب المسلم للقتال ضد الأنظمة غير الإسلامية[14].

3. تفسير محمد عبد الوهاب (1703 – 1792)

محمد عبد الوهاب مؤسس الحركة الوهابية في السعودية، هو الآخر من العلماء الذين قاموا بتفسير النصوص القرآنية لتبرير العنف والتكفير ضد غير المسلمين وأيضا ضد المسلمين الذين لا يتبعون تعاليمه.

مثال عن التفسير المتطرف: تفسيره لآية "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُحَارِبُونَكُمْ"[15]، حيث تم استعمال هذه الآية لتبرير القتال ضد المجتمعات غير الوهابية[16].

لذا اعتمدت الجماعات المتطرفة تأويل الآيات القرآنية باجتهاد شخصي لتبرير القتال العشوائي ضد الأشخاص الذين يختلفون عنهم في الدين أو المذهب، دون التفريق بين حالات الدفاع المشروع التي نصت عليها الآية وبين الاعتداء على الأبرياء أو المسلمين من الطوائف الأخرى.

الآيات الكريمة تدعو إلى القتال في سبيل الله ضد المعتدين، ولكن التفسير المتطرف يوسع نطاقها ليشمل محاربة كل من يختلف عنهم فكريا أو دينيا مما يؤدي إلى إضفاء مشروعية على العنف غير المبرر.

ذكر الشيخ المفيد في أوائل المقالات أن الآيات التي تتعلق بالقتال المشروع في حالة الدفاع عن النفس في مواجهة المعتدين ولا يمكن تأويلها بشكل يسمح بالاعتداء على الأبرياء[17].

المبحث الثاني: دور التأويل الخاطئ في تغذية الإرهاب

المطلب الأول: تفسير الجماعات الارهابية للنصوص القرآنية.

تعتمد الجماعات المتطرفة مثل القاعدة وداعش على تفسيرات انتقائية للنصوص القرآنية لتبرير أيديولوجياتها العنيفة.

ويتميز منهجها بتجاهل السياقات التاريخية واللغوية واعتماد التأويل الحرفي للنصوص مما يؤدي إلى تشويه المعاني الأصل للآيات.

في المقابل يقدم المنهج الإمامي المعتدل تفسيرا يعتمد على أصول التأويل القرآني التي تنطلق من مدرسة أهل البيت (ع) والتي تراعي الجوهر الحقيقي للنصوص.

أولا: تفسير آيات القتال والجهاد

لجأت التنظيمات الارهابية إلى التفسير المتطرف لآية السيف في قوله تعالى: "فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم"[18].

حيث عدوا هذه الآية دليلاً على أن الإسلام يدعو إلى قتل غير المسلمين بشكل مطلق دون النظر إلى شروط القتال في الإسلام أو سياق الآية، ويفسرها منظرو السلفية الجهادية، مثل أبي محمد المقدسي، على أنها "إلغاء لكل معاهدات السلم مع الكفار، ووجوب مقاتلتهم في أي مكان"[19].

ويرى منظرو داعش أن الآية تقدم مبدأ الحرب الدائمة ضد غير المسلمين ويعدون أن كل الحكومات الحديثة (طاغوت) يجب محاربتها[20] .

في حين إذ استقرأنا التفسيرات المعتدلة نجد أنها تحدد نزول الآية في سياق محدد يتعلق بنقض المشركين لعهدهم مع المسلمين، وليس أمرا عاما بقتال كل غير المسلمين[21].

ثانيا: تفسير آيات الولاء والبراء

تمثل التفسير المتطرف في اعتماد آية من سورة المائدة كدليل للبراء والولاء في قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض"[22].

هذه الآية استعملت من قبل الجماعات المتطرفة كدليل على تحريم التعامل مع اليهود والمسيحيين بأي شكل، وعدهم أعداء دائمين للإسلام.

ويرى أبو بكر البغدادي أن هذه الآية "دليل على أن التحالف مع أي دولة غير مسلمة أو التعاون معها خيانة وكفر"[23].

ويستعمل تنظيم القاعدة الآية في تبرير استهداف المسيحيين في الدول الإسلامية وعد وجودهم غزوا ثقافيا يجب مقاومته[24] .

فيما يذهب الاتجاه الامامي إلى تفسير آخر، فقد قال السيد الطباطبائي أن هذه الآية تتحدث عن الولاء السياسي والتبعية الكاملة التي تؤثر على استقلالية المسلمين، وليس عن التعامل العادي أو العلاقات الاجتماعية المشروعة[25].

ثالثا: تفسير مفهوم الحاكمية.

ذهب اصحاب التفسير المتطرف إلى القول بأن الآية في قوله تعالى: "إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه"[26] يستفاد منها بأن أي حكم بشري فهو كفر.

أما الجماعات التكفيرية الحديثة مثل داعش والقاعدة فترى أن هذه الآية تعني أن أي نظام حكم غير (دولة الخلافة) هو طاغوت يجب محاربته حتى لو كان إسلاميا.

يرى أبو مصعب الزرقاوي أن "كل من لا يحكم بما أنزل الله فهو كافر مرتد"[27].

وخير من رد على الخوارج الإمام علي (ع) بقوله: "كلمة حق يراد بها باطل نعم إن الحكم إلا لله ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله، وإنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر"[28].

ويوضح الشيخ الطوسي أن هذه الآية لا تعني رفض أي حكم بشري، بل تؤكد أن التشريع الأساس من الله لكنه يُنفذ عبر الحكام العادلين وفقا لضوابط الشريعة[29].

رابعا: أثر التفسيرات التكفيرية على الأمن الفكري والمجتمعي

أدت هذه التفسيرات إلى انتشار موجات العنف والإرهاب، حيث استُعملت هذه النصوص لتبرير الهجمات على المسلمين وغير المسلمين.

واستهداف الأقليات الدينية والمذهبية الذي تم عبر تأويلات خاطئة لآيات الجهاد والولاء مما ساهم في تفتيت المجتمعات الإسلامية.

أكد السيد السيستاني (حفظه الله) على أن "الإسلام دين الرحمة والعدل وليس أيديولوجيا تبرر القتل والعنف[30].

وإن تفسير الجماعات التكفيرية للنصوص القرآنية يعتمد على الاجتزاء والتأويل الحرفي بعيدا عن الجوهر القرآني الحقيقي، بينما يؤكد المنهج المعتدل الأصيل على فهم القواعد الكلية للمنظومة القرآنية والروائية واسقاطها على الواقع.

ويظهر بوضوح أن الفرق بين الفكر التكفيري والمنهج المعتدل يكمن في الفهم الشمولي للنصوص ومراعاة السياقات المختلفة التي تنفي أي مبرر للعنف والتطرف.

المطلب الثاني: التأثير على الشباب.

تلعب التأويلات المتطرفة للنصوص القرآنية دورا حاسما في عمليات تجنيد الأفراد ضمن الجماعات الإرهابية مثل القاعدة وداعش.

تعتمد هذه الجماعات على تحريف معاني الآيات لتبرير العنف، وتصويره كجزء من (التكليف الإلهي) مما يخلق بيئة فكرية تحفّز الشباب على الانضمام إلى التنظيمات المتطرفة.

ولكن وفقا للرؤية العلمية المعتدلة، فإن هذه التفسيرات غير صحيحة لأنها تعتمد على اجتزاء النصوص دون مراعاة السياقات التاريخية واللغوية وغيرها في تفسير النصوص.

أولا: استراتيجيات الجماعات الإرهابية في استغلال التأويلات المتطرفة.

تعتمد الجماعات التكفيرية على استراتيجيات عدة لإقناع الأفراد الجدد بفكرها، من أبرزها:

1. تشويه مفهوم الجهاد.

يتم تقديم الجهاد على أنه (فرض عيني) على كل مسلم، وتُستعمل آيات مثل قوله تعالى: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله"[31].

يفسر تنظيم داعش الآية على أنها أمر دائم بقتال غير المسلمين والحكومات المخالفة لهم[32].

في حين يذهب العلامة الطباطبائي إلى القول أن الجهاد لا يكون إلا ضد المعتدين، وإن مفهومه يشمل الدفاع عن النفس وليس العدوان[33].

1. التلاعب بمفهوم الولاء والبراء.

يُقنع المجندون الجدد بأن أي علاقة مع غير المسلمين أو مع المسلمين (المعتدلين) خيانة توجب القتل، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: "ومن يتولهم منكم فإنه منهم"[34].

حيث تُفسَّر الآية في الفكر المتطرف على أن أي تعامل مع غير المسلمين هو ردة.

بينما المقصود بالآية هو عدم تبعية المسلمين سياسيا أو عقديا لأعداء الإسلام، وليس تحريم التعامل معهم[35]

2. التهيئة النفسية والفكرية.

يتم إقناع المجند بأن العالم كله دار كفر وأنه يجب أن يكون جنديا لله ضد هذا الواقع الفاسد، وتستخدم مقاطع فيديو وخطب دعائية تعظّم دور الشهداء في سبيل الله.

يتعرض المجندون الجدد إلى عزلة اجتماعية عن عوائلهم ومجتمعاتهم لمنع أي تأثير فكري آخر عليهم.

وبعد بناء القناعة الفكرية يتم إقناع المجند بأن القتال والقتل (واجب شرعي) وأنه الطريق الوحيد لتحقيق النصر، كذلك يتم استدعاء آيات مثل: "فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم"[36].

في حين أن الآية نزلت في سياق حربي خاص ولا يمكن تعميمها[37].

ويتم إقناع الأفراد العاملين معهم بأنهم الفرقة الناجية، وأنهم وحدهم يمثلون الإسلام الصحيح مما يعزز لديهم عقلية استعلائية تجاه الآخرين.

لذا تعتمد الجماعات الإرهابية على تأويلات خاطئة للنصوص القرآنية لجذب المجندين الجدد مستغلة جهلهم بالسياقات الحقيقية للآيات.

في المقابل يتضح أن القراءة الفاحصة المعتدلة للخطاب القرآني تتطابق مع مبادئ الإسلام الحقيقية التي تدعو إلى الرحمة والعدل.

والتصدي لهذه الأيديولوجيات يتطلب نشر الفهم الصحيح للنصوص الدينية وتعزيز الوعي المجتمعي.

المبحث الثالث: الحلول التصحيحية للقراءات والتأويلات الخاطئة.

يُعد تفسير القرآن الكريم ركيزة أساس لفهم النصوص الدينية، وهو عملية متجددة يجب أن تراعي التطورات الفكرية والسياقات التاريخية والاجتماعية لكل عصر.

خلال القرون الماضية برزت اتجاهات تفسيرية عديدة بعضها كان محكوما بظروف سياسية أو طائفية، مما أدى إلى تأويلات متشددة أفرزت حركات متطرفة كتنظيم القاعدة وداعش.

في المقابل يستوجب فهم القرآن تطوير أساليب تفسيرية جديدة تعتمد على فهم شمولي يتجاوز القراءة الحرفية، ويراعي معطيات التاريخ والسوسيولوجيا بما ينسجم مع النهج المعتدل الذي يقوم على الجمع بين النص والعقل.

المطلب الأول: القراءة الخاطئة للنصوص القرآنية وأثرها في افراز حركات متطرفة.

أولا: الإشكالات في بعض المناهج التفسيرية التقليدية.

1. التفسير الحرفي المجتزأ.

يقتصر على ظاهر النص دون تحليل للسياق التاريخي واللغوي، مما يؤدي إلى سوء الفهم والتأويل الخاطئ.

مثال: استعمال الآية في قوله تعالى: "فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم"[38] كمبرر للعنف دون النظر إلى سبب النزول المتعلق بنقض عهد المشركين في زمن النبي (ص).

2.التفسير الأيديولوجي المتطرف.

يخضع التفسير لخدمة أجندات سياسية أو طائفية، مثل التفسيرات التي تبنتها الجماعات التكفيرية لتبرير الإرهاب.

مثال: تأويل مفهوم الحاكمية الوارد في قوله تعالى: "إن الحكم إلا لله"[39] كمبرر لتكفير الأنظمة الحاكمة، متجاهلين تفسير الإمام علي (ع) للخوارج عندما قال: "كلمة حق يراد بها باطل"[40].

3. إهمال البعد الاجتماعي والتاريخي.

يتم إسقاط الأحكام الواردة في سياقات معينة على أوضاع مختلفة تماما دون اعتبار لتغير الظروف.

مثال: تطبيق عقوبات في زمن يحتاج إلى توفر الظروف كاملة لإقامة بعض الأحكام، كذلك أن الإسلام راعى تطور الموضوعات وفق الظروف الاجتماعية.

ثانيا: الأساليب التفسيرية المقترحة

1. التفسير السياقي الشامل.

يعتمد على دراسة أسباب النزول وتحليل الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي نزلت فيها الآيات.

مثال: قوله تعالى: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل"[41] كانت في سياق تجهيز المسلمين للدفاع وليس دعوة للعنف المستمر.

2. التفسير القرآني بالقرآن.

الاعتماد على ربط الآيات المتشابهة بالآيات المحكمة لفهم المعنى الحقيقي.

مثال: تفسير قوله تعالى: "لا إكراه في الدين"[42] في ضوء قوله تعالى: "أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين"[43]، مما ينفي استخدام العنف لنشر الدين.

3. المنهج العقلاني في ضوء مدرسة أهل البيت (ع)

يوازن المنهج التفسيري الإمامي بين النص والعقل، ويعتمد على الاجتهاد الفقهي لفهم المعاني الحقيقية.

مثال: في مسألة الجهاد يؤكد الفقه الإمامي على مفهوم الدفاع الشرعي بدلاً من الجهاد الهجومي، مستندا إلى سيرة النبي (ص) وأهل البيت (ع).

ثالثا: تطبيق هذه المناهج في قضايا الأمن الفكري والمجتمعي

1. مواجهة الفكر المتطرف.

إعادة تفسير النصوص التي تستعملها الجماعات الإرهابية بطريقة تراعي السياق وتصحح المفاهيم المغلوطة.

2. تعزيز ثقافة التسامح

تقديم تفسير يدعم العيش المشترك ويؤكد على المبادئ القرآنية في العدل والرحمة.

3. تصحيح الفهم الديني للشباب

تطوير مناهج دراسية تعتمد على التفسير السياقي والتاريخي لمنع استغلال النصوص القرآنية في التطرف.

وإن تطوير أساليب تفسيرية جديدة يأخذ في الاعتبار السياقات التاريخية والاجتماعية يُعد ضرورة ملحة لمواجهة التفسيرات المتطرفة التي تؤدي إلى العنف والإقصاء.

ومن خلال اعتماد منهج يعتمد التفسير العقلي والسياقي الكلي يمكن تحقيق قراءة أكثر انسجاما مع القيم الحقيقية للإسلام، كما جاءت في مدرسة أهل البيت (ع)، مما يسهم في ترسيخ الأمن الفكري والاجتماعي.

المطلب الثاني: دور العلماء في تصحيح التأويلات المتطرفة.

يُعَدّ تفسير القرآن الكريم أحد أهم المجالات التي تؤثر في تشكيل الوعي الديني والمجتمعي، إذ إن الفهم الصحيح للنصوص القرآنية يُسهم في بناء مجتمعات متوازنة، بينما يمكن أن يؤدي التفسير الخاطئ إلى التطرف والفتنة.

وهنا يبرز الدور الحاسم للعلماء والمفكرين في توجيه التفسير القرآني من خلال تقديم قراءة علمية دقيقة تأخذ بعين الاعتبار السياقات اللغوية، التاريخية، والاجتماعية.

يتجلى هذا الدور بوضوح في مواجهة الفكر التكفيري الذي يستند إلى تأويلات مغلوطة للقرآن كما تفعل الجماعات المتطرفة مثل القاعدة وداعش.

أولا: دور العلماء في ضبط التفسير وفق المنهج العلمي.

إن إرساء منهجية تفسيرية قائمة على الاجتهاد والتدبر يلجأ إليها العلماء الراسخون في العلم ويعتمدون على مصادر متعددة مثل أسباب النزول، علم اللغة، والسياقات التاريخية لفهم المعنى الحقيقي للنصوص.

مثال: في تفسير قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء"[44]، فسر المتطرفون الآية بأنها تحرّم كل علاقة مع غير المسلمين بينما يوضح العلماء أن المقصود هو الولاء السياسي الذي يؤدي إلى التبعية لا التعامل السلمي[45].

كذلك تصحيح الفهم الخاطئ للجهاد، فقد اسُتعملت آيات القتال مثل: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة"[46] لتبرير العنف، بينما يؤكد العلماء أن الجهاد في الإسلام دفاعي وليس عدوانيا[47].

فضلا عن التأكيد على التفسير المتكامل للقرآن، فالقرآن يُفسّر بعضه بعضا، فلا يمكن أخذ آية واحدة دون الرجوع إلى باقي النصوص المتعلقة بها.

مثال: آية "لا إكراه في الدين"[48] تُثبت أن الإسلام لا يفرض العقيدة بالقوة، مما يدحض فكرة التكفير التي تروج لها الجماعات الإرهابية[49] .

ثانيا: دور المفكرين في مواجهة التأويلات المتطرفة.

1. تحليل الخطاب الديني وتفكيك المفاهيم المغلوطة.

يعتمد المفكرون على مناهج تحليل الخطاب للكشف عن كيفية استعمال الجماعات المتطرفة للنصوص الدينية لتحقيق أهداف سياسية.

2. تقديم قراءة تاريخية لتطور التفسيرات.

يوضح المفكرون كيف أثّرت الظروف السياسية والاجتماعية عبر التاريخ في بعض التفاسير التي استعملها المتطرفون لاحقا.

3. تعزيز الفكر النقدي بين الشباب.

المفكرون يسهمون في بناء عقلية نقدية لدى الشباب تمنعهم من الانسياق وراء التفسيرات السطحية.

ثالثا: تأثير العلماء والمفكرين في تحقيق الأمن الفكري والمجتمعي

1. مواجهة الفكر التكفيري.

العلماء يواجهون الفكر التكفيري من خلال الفتاوى والتفسيرات العلمية التي تدحض مزاعم الجماعات الإرهابية.

مثال: فتوى السيد السيستاني عام 2014 ضد داعش التي أكدت على ضرورة محاربة الإرهاب ضمن ضوابط شرعية وإنسانية.

2. ترسيخ ثقافة التسامح والتعددية

المفكرون يدعمون القيم القرآنية التي تدعو إلى التعايش السلمي، مثل قوله تعالى: "وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا"[50].

3. إصلاح المناهج الدينية

تصحيح طريقة تدريس التفسير القرآني بحيث تراعي السياقات التاريخية والاجتماعية وتمنع استغلال النصوص.

المطلب الثالث: إدخال برامج تعليمية تفسيرية معتدلة.

يُعد تدريس التفسير الصحيح للنصوص الدينية في المؤسسات التعليمية أمرا ضروريا للحفاظ على الفهم المتوازن للإسلام ومواجهة التأويلات الخاطئة التي تستغلها الجماعات المتطرفة لنشر العنف والكراهية.

إن إدراج مناهج علمية محكمة تركز على تفسير القرآن وفق الأسس اللغوية، التاريخية، والسياقية يسهم في بناء وعي ديني سليم يعزز قيم التسامح والتعددية، ويحصن الشباب من الانحرافات الفكرية.

كما أن غياب هذه البرامج أو تدريسها بأسلوب تقليدي قد يؤدي إلى فهم قاصر للدين يفتح المجال أمام التفسيرات المتشددة.

أولا: أهمية تدريس التفسير الصحيح في المدارس والجامعات.

يُسهم تدريس التفسير القرآني بأسلوب علمي في تزويد الطلبة بفهم شامل للإسلام بعيدا عن الأدلجة السياسية.

مثال: في دراسة للشيخ محمد مهدي شمس الدين أشار إلى أن غياب التفسير السياقي للنصوص ساهم في نشوء قراءات متطرفة[51].

كذلك يتيح التعليم الديني الصحيح كشف زيف التأويلات المغلوطة التي تعتمدها الجماعات الإرهابية.

مثال: الجماعات المتطرفة تستغل آية "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة"[52] لتبرير العنف بينما يؤكد العلماء أن الفتنة تعني الاضطهاد الديني وليس المخالفة في العقيدة[53].

وتدريس التفسير بأسلوب شامل يساعد على فهم الإسلام كدين يدعو للتسامح والعيش المشترك.

مثال: دراسة آية "وجادلهم بالتي هي أحسن"[54] تسلط الضوء على أهمية الحوار بدلاً من الصراع.

ووجود برامج تعليمية تركز على التفسير الصحيح يسهم في بناء مجتمع مستقر يرفض العنف والتعصب، وأشار تقرير لليونسكو يثبت أن التعليم الديني المتوازن يقلل من احتمالية انضمام الشباب إلى الجماعات المتطرفة[55].

لذلك فإن إدخال برامج تعليمية لتدريس التفسير الصحيح في المدارس والجامعات يمثل خطوة ضرورية لمواجهة الفكر المتطرف وتعزيز الأمن الفكري والمجتمعي.

ومن خلال الاعتماد على مناهج علمية تركز على الفهم التفسيري المعتدل يمكن بناء جيل واعٍ قادر على فهم الدين بعمق بعيدا عن التطرف والانغلاق.

نتائج البحث والدراسة:

1. إن الجماعات الإرهابية تستغل التأويل الخاطئ لبعض النصوص القرآنية لشرعنة العنف وتبرير أفعالها الإجرامية، ويعتمد التأويل على اجتزاء الآيات من سياقها وتجاهل أسباب نزولها وإسقاطها على وقائع لا تنطبق عليها.
2. إن انحراف التأويل ناتج عن الابتعاد عن منهجية التفسير العلمي المتكامل التي تراعي علوم القرآن، وأصول الفقه، والسياق العلمي، فالتفسير الصحيح يتطلب الاعتماد على روايات أهل البيت (عليهم السلام) التي تقدم فهما دقيقا ومتزنا للنصوص بعيدا عن التطرف والغلو.
3. كشف البحث أن التأويل الخاطئ للنصوص القرآنية كثيرا ما يتم توظيفه لخدمة أجندات سياسية معينة، حيث تستعمله بعض الجماعات المتطرفة لتبرير حروبها وإضفاء طابع ديني على ممارساتها العدوانية مما يؤدي إلى تشويه صورة الإسلام.
4. إن المدرسة التفسيرية الإمامية المعتمدة على تعاليم أهل البيت (ع) توفر فهما متكاملا ومتزنا للنصوص القرآنية، وهذا الفهم يستند إلى بيان معاني الآيات وفقا للمنهجية العلمية المعتدلة، وتفسير الأئمة المعصومين (عليهم السلام) الذين يمثلون الامتداد العلمي للنبي (ص).
5. أوضحت الدراسة أن انتشار التأويل الخاطئ يؤدي إلى تفتيت المجتمعات الإسلامية، وزيادة العنف، وخلق بيئة من الفتنة والاقتتال الداخلي، مما يخدم مصالح أعداء الأمة الإسلامية الذين يسعون لإضعافها من الداخل.

الهوامش:

(1) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ج1، ص150.

(2) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ج11، ص31.

(3) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج1، ص12.

(4) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج3، ص72.

(5) الشيخ المفيد، محمد بن محمد، أوائل المقالات (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، 1970)، ص 45–60.

(6) الشيخ الطوسي، أبو جعفر، التبيان في تفسير القرآن (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1991)، ج1، ص 78–92.

(7) الشيخ البحراني، محمد بن الحسن، البرهان في تفسير القرآن (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2002)، ج3، ص 210–225.

(8) الشيخ الطوسي، أبو جعفر، التبيان في تفسير القرآن (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1991)، ج1، ص 78–92.

(9) البقرة: 190.

(10) الشيخ المفيد، محمد بن محمد، أوائل المقالات (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، 1970)، ص 45–60.

(11) المائدة: 33.

(12) ابن تيمية، الفتاوى الكبرى (دمشق: دار الفكر، 2002)، ج5، ص 47–55.

(13) الأنفال: 12.

(14) سيد قطب، في ظلال القرآن (بيروت: دار الشروق، 1996)، ج3، ص 1271–1280.

(15) البقرة: 190.

(16) محمد بن عبد الوهاب، رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب (الرياض: مكتبة الرشد، 1997)، ص 53–70.

(17) الشيخ المفيد، محمد بن محمد، أوائل المقالات (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، 1970)، ص 45–60.

(18) التوبة: 5.

(19) المقدسي، ملة إبراهيم، ص 79.

(20) مجلة دابق، العدد 4، 2015.

(21) الطبرسي، مجمع البيان، ج5، ص7.

(22) المائدة: 51.

(23) خطاب البغدادي، 2014.

(24) أيمن الظواهري، فرسان تحت راية النبي، ص 142.

(25) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج6، ص15.

(26) يوسف: 40.

(27) الزرقاوي، رسالة إلى المجاهدين، ص 27.

(28) نهج البلاغة، خطبة 40.

(29) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج1، ص5.

(30) ظ: خطبة الجمعة، النجف، 2017.

(31) البقرة: 193.

(32) مجلة دابق، العدد 7، 2015.

(33) الميزان في تفسير القرآن، ج2، ص214.

(34) المائدة: 51.

(35) ظ: مجمع البيان، الطبرسي، ج6، ص15.

(36) التوبة: 5.

(37) ظ: التبيان، الطوسي، ج5، ص7

(38) التوبة: 5.

(39) يوسف: 40.

(40) نهج البلاغة، خطبة 40.

(41) الأنفال: 60.

(42) البقرة: 256.

(43) يونس: 99.

(44) المائدة: 51.

(45) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ج6، ص15.

(46) البقرة: 193.

(47) ظ: المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، ص120.

(48) البقرة: 256.

(49) ظ: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ج2، ص8.

(50) الحجرات: 13.

(51) ظ: التجديد في الفقه الإسلامي، ص55

(52) البقرة: 193.

(53) ظ: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ج2، ص270.

(54) النحل: 125.

(55) UNESCO Report on Religious Education, 2019

المصادر والمراجع:

1. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (2002) الفتاوى الكبرى .دمشق: دار الفكر .
2. ابن فارس، أحمد. (د.ت) معجم مقاييس اللغة .تحقيق عبد السلام هارون. دار الفكر .
3. ابن منظور، محمد بن مكرم. (د.ت) لسان العرب .دار صادر .
4. البحراني، محمد بن الحسن. (2002) البرهان في تفسير القرآن .بيروت: دار إحياء التراث العربي .
5. التجديد في الفقه الإسلامي .مركز البحوث الإسلامية.
6. خطاب البغدادي، أبو بكر. (2014) خطابات وإصدارات تنظيم الدولة الإسلامية .
7. خطبة الجمعة، النجف، 2017 .
8. الزرقاوي، أبو مصعب. (د.ت) رسالة إلى المجاهدين .مركز الدراسات الجهادية .
9. سيد قطب. (1996) في ظلال القرآن .بيروت: دار الشروق .
10. الشيخ المفيد، محمد بن محمد (1970)أوائل المقالات في المذاهب والمختارات قم: مؤسسة النشر الإسلامي .
11. الصدر، محمد باقر. (د.ت)المدرسة القرآنية .مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية .
12. الطباطبائي، محمد حسين. (د.ت .(الميزان في تفسير القرآن .مركز النشر الإسلامي .
13. الطبرسي، الفضل بن الحسن. (د.ت)مجمع البيان في تفسير القرآن .دار المعرفة .
14. الطوسي، أبو جعفر. (1991)التبيان في تفسير القرآن .بيروت: دار إحياء التراث العربي .
15. الطوسي، محمد بن الحسن. (د.ت)التبيان في تفسير القرآن .مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية .
16. الظواهري، أيمن. (د.ت)فرسان تحت راية النبي .مركز الدراسات الإسلامية .
17. عبد الوهاب، محمد بن. (1997)رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب .الرياض: مكتبة الرشد .
18. مجلة دابق. (2015) إصدارات إعلامية لتنظيم الدولة الإسلامية .
19. المقدسي، أبو محمد. (د.ت)ملة إبراهيم .مركز النشر الجهادي .
20. نهج البلاغة. (د.ت)خطابات وأقوال الإمام علي بن أبي طالب .جمع الشريف الرضي
21. UNESCO. (2019). Report on Religious Education.